ووصفه وصفًا بديعًا ولكنه لا يخلو من النظر والمبالغة قال

ومن ذلك فرس البحر وهذه توجد باسفل الارض وخاصة ببحر دمياط وهو حيوان عظيم الصورة هائل المنظر شديد البأس يتبع المراكب فيغرقها ويهلك من ظفر به منها وهو بالجاموس اشبه منه بالفرس لكنه ليس له قرن وفي صوته صحلة يشبه صهيل الفرس بل البغل وهو عظيم الهامة هريت الاشداق حديد الانياب عريض الكلكل منتفخ الجوف قصير الارجل شديد الوثب قوي الدفع مهيب الصورة مخوف الغائلة وخبرني من اصطادها مرات وشقها وكشف عن اعضائها الباطنة والظاهرة انها خنزير كبير وان اعضاءها الباطنة والظاهرة لا تغادر من صورة الخنزير شيئًا الاَّ في عظم الخلقة . ورايت في كتاب نيطوا ليس في الحيوان ما يعضد ذلك وهذه صورته . قال خنزيرة الماء تكون في عظم الفيل وراسها يشبه راس البغل ولها شبه الجمل . قال وشحم متنها اذا أُذيب ولت بسويق وشربته امراة اسمنها حتَّى تجوز المقدار

وكانت واحدة ببحر دمياط قد ضربت على المراكب تغرقها وصار المسافر في تلك الجهة مغرورًا وضربت أُخرى بجهة أُخرى على الجواميس والبقر وبني آدم تقتلهم وتفسد الحرث والنسل . واعمل الناس في قتلها كل حيلة من نصب الحبائل الوثيقة وحشد الرجال باصناف السلاح وغير ذلك . فلم يجد شيئًا فاستدعي بنفر من المريس صنف من السودان زعموا انهم يحسنون صيدها وانها كثيرة عندهم ومعهم مزاريق . فتوجهوا نحوها فقتلوها في اقرب وقت وباهون سعي وانوا بها الى القاهرة فشاهدتها فوجدت جلد احدها اجرد اسود ثخينًا جدًّا وطولها من راسها الى ذنبها عشر خطوات معتدلات وهي في غلظ الجاموس نحو ثلث مرات وكذلك رقبتها وراسها . وفي مقدم فيها اثنا عشر نابًا ستة من فوق وستة من اسفل المنطرفة منها نصف ذراع زائد والمتوسطة انقص بقليل . وبعد الانياب اربعة صفوف من الاسنان على خطوط مستقيمة في طول الفم في كلّ عشرة كامثال بيض الدجاج المصطف صفان في الاعلى وصفان في الاسفل على مقابلتها . واذا فغر فوها وسع شاة كبيرة . وذنبها في طول نصف ذراع زائد غليظ وطرفه كالاصبع اجرد كانه عظم شبيه بذنب الورل وارجلها قصار طولها نحو ذراع وثلث ولها شبيه بخف البعير الاَّ انه مشقوق الاطراف باربعة اقسام وارجلها في غاية الغلظ . وجملة جثتها كانها مركب مكبوب لعظم منظرها . وبالجملة هي اطول واغلظ من الفيل الاَّ ان ارجلها اقصر من ارجل الفيل بكثير ولكن في غلظها او اغلظ منها انتهى

وكان فرس البحر منتشرًا في اوربا في العصور الجيولوجيَّة وقد وُجدت عظامه بين

ومنخريهِ طويلان لا مستديران كمنخري الاسود واذنيهِ مرأسان لا مستديرتان كاذني الاسود

وقد وصف لثستون الرحالة الانكليزي الشهير فرس البحر والكركدن فقال ما يأتي ملخصًا

ومن حيوانات افريقية المشهورة فرس البحر وهو ضخم الجثة كبير الرأس له نابان كبيران وجسمهُ يقارب جسم الفيل ولكن قوائمهُ صغيرة جدًا حتى يكاد بطنهُ يماس الارض. وسمك جلدهِ اكثر من سنتيمترين وهو احلت لا شعر عليهِ الاَّ شعرات قليلة حول فمهِ وعلى ذنبهِ. ولونهُ وهو في البر احمر قرمزي واذا غاص في الماء ظهر لونهُ اسود مزرقًا. وشدقهُ واسع يسع الانسان وطولهُ من احدى عشرة قدمًا الى اثنتي عشرة ومحيط بدنهِ كذلك وعلوهُ عن الارض نحو اربع اقدام او خمس. وطعامهُ العشب والقصب والجذور ويتلف قدر ما يأكل. والغالب انهُ يقيم في النهار في الماء ساكنًا ويخرج في الليل يسعى في طلب رزقهِ

وكان في بستان الحيوانات بلندن فرس من افراس البحر جُلب من افريقية صغيرًا يرضع وكان يشرب كل يوم لبن بقرتين ويأكل شيئًا من الذرة وبلغ وزنهُ وهو صغير الف رطل (مصري) ثم زاد حتى بلغ ٣٨٠٠ رطل وصار ياكل كل يوم مئة رطل من العشب والذرة واللفت والجزر والملفوف. ولحم فرس البحر طيب وانيابهُ ثمينة وقد يكون ثقل الناب منها من خمسة الى ثمانية ارطال وثمنهُ من عشرين الى ثلاثين جنيهًا. وتصنع منهُ الاسنان الصناعيَّة ومقابض السكاكين ونحو ذلك من الادوات التي يراد ان يبقى عاجها على لونهِ لانهُ لا يصفر كعاج الافيال

ومنها الكركدن وهو اقرب الى الفيل في كبر جسمهِ من فرس البحر ومنهُ نوعان الاسود والابيض والاول منهما شرس جدًا وهو اصعب حيوانات افريقية مراسًا ما عدا الجاموس البري وجسمهُ طويل غليظ وقوائمهُ قصيرة قوية وعيناهُ صغيرتان جدًا غائرتان في رأسهِ. وقرنهُ غير متصل بجمجمتهِ ولكنهُ ناتئ من بين منخريهِ فوق شفتهِ العليا. وطول المبالغ من قطيستهِ الى طرف ذنبهِ من اربع عشرة قدمًا الى ست عشرة قدمًا ومحيط جسمهِ نحو ١٢ قدمًا وثقلهُ نحو خمسة آلاف رطل (ليبرة) وهو من اقبح الحيوانات منظرًا وليس لهُ شعر الاَّ على ذنبهِ وفي اذنيهِ. وقرنهُ تفوق الوصف وعدوهُ سريع جدًا على ضخم جثتهِ وطعامهُ الاغصان الطرية والاعشاب ويكثر من شرب الماء وكل الوحوش تخشى بأسهُ فالاسد يهرب منهُ والفيل يجتنب مقابلتهُ لانهُ قلما يصارعهُ مالم تدر الدائرة على الفيل وقرنهُ ثمين تصنع منهُ مقابض السيوف ونحوها وهو يباع بنصف ثمن انياب الفيل وقلما

يصاد مطاردةً لسرعة عدوهِ واحتمالهِ العدو زمانًا طويلاً

وقال اوزول وهو من المشهورين في صيدهِ كنتُ مرّة راكبًا فرسًا من اجود الخيول واسبقها فرأيتُ الكركدن امامي والتفتُّ الى رفيقي وقلتُ لهُ لا بدَّ لنا من اتباع هذا الحيوان وللحال اعملتُ المهاز في شاكلة الجواد فلم يكن الاَّ برهة وجيزة حتّى صرت بجانبهِ واطلقتُ عليهِ الرصاص وكانت العاقبة مشومة عليَّ لانهُ لم يعد الى الهرب كبقيّة افراد صنفهِ الابيض بل دار ونظر اليَّ شزرًا ثم مشى نحوي متهللاً وانا من الرجال الّذين لا يعرفون الخوف ولكني ادرتُ رأس جوادي حينئذٍ وحاولت الفرار فلم يطاوعني وكان اطوع خيولي كلها ولم يكن الاَّ لمحة حتى ادركنا الكركدن واحنى رأسهُ وضرب الجواد بقرنهِ فخرقهُ من شاكلة الى شاكلة وخرق السرج الذي تحت فخذي على الجانب الآخر وبلغ راسهُ فخذي فقلب الجواد على ظهرهِ من زخم الضربة ووقعتُ تحتهُ وكأن الكركدن اكتفى بما فعل فتركنا صريعين وسار في طريقهِ. فنهضتُ حالاً وانزلت رفيقي عن جوادهِ وركبت عليهِ وتبعتُ خصمناولم ارجع عنهُ حتى القيتهُ على الصعيد صريعًا مضرّجًا بدمائهِ اما جوادي فمات من ساعتهِ

وفي مرة اخرى التقى هذا الرجل باثنين اسودين من هذا الحيوان وكانّهما كانا يتصدانهِ فلم يستطع ان يرميهما بالرصاص لان الرصاص لا يفعل براسيهما ولم يستطع ان يدور و يرميهما في جهة اخرى واذا رمى واحدًا فالآخر يدوسهُ بقدميهِ فسوّلت لهُ نفسهُ ان يهرب من امامهما ظنًّا منهُ انهما لا يريانهِ لقصر بصرهما فعدا قليلاً ولكن واحدًا منهما ادركهُ حالاً وضربهُ بقرنهِ فاغمي عليهِ . قال ولما افقت وجدت نفسي راكبًا على فرسي و يقود الفرس واحد من الكفرة وخطر لي حينئذٍ انني كنت اصطاد قبل ذلك ولكني لم اذكر الامر كما يجب فقلت للرجل الذي يقود فرسي على مَ لا تقتني اثر الحيوانات فقال راحت . وبالاتفاق وضعت يدي على فخذي اليمنى فوجدتها امتلات دمًا ولكني لم اشعر بالم وكان في فخذي جرح كبير فجعلت ادخل اصابعي فيهِ ولا اشعر بشيء وفيما انا في حيرة من جرى ذلك وافكاري ضائعة رأيت البعض من رجالي ومعهم محمل فناديتهم وقلت لهم الى اين انتم ذاهبون فقالوا سمعنا انك قتلت فاتينا لناخذ جثتك وحينئذٍ عرفت الحالة التي انا فيها . وكان الجرح في فخذي بالغًا جدًّا ولم يشف الاَّ بعد زمان طويل و بقيت منهُ ندبةٌ كبيرة وسترافقني الى القبر